هاجوفا

بقلم اسلام العقاد

القاهره ***25*** يونيو ***1569*** م

كانت صرخاته قويه لم تنم علي انها صراخات طفل حديث الولاده بل كانت تنم علي انه جبار من جبابره الارض، اهتزت لها الحاره كلها وشقت عنان السماء في ظلمه الفجر وكأنه يعلن عن قدوم اعتي وحوش الارض مما جعل ابيه يقف امام باب الغرفه متحير وقلق حتي خرجت عليه ام هاشم الدايه تحمل بين يديها لفافه صغير وتمد يدها للمعلم سليمان

ـ اللي جاب لك يخلي لك يا معلم .... ولد

التقط سليمان الفافه ونظر بداخلها ليجد وجه طفل صغيراحمر اللون يملئه التشنجات وصراخة يملئ الكون

فجلس المعلم سليمان علي الاريكه بجوار غرفه النوم يهدهد الطفل ويرسم قبله علي جبينه ثم انتبه لدخول راشد احد اصدقائة الاوفياء يقول

ـ الف مبروك يامعلم سليمان

ـ اللّه يبارك فيك ياراشد تعال اقعد

ـ ها جبت لنا سليمان صغير

ـ الحمد لله .....

ـ وهتسميه ايه يامعلم

نظر سليمان متأمل وجه الطفل الباكي وتحرك الي الامام عده خطوات ثم نظر في وجه الدايه ووجه راشد ثم لمعت عيناه وقال

ـ سيد هاجوفا

فنظر سليمان اليهم وقراء في أعينهم التسائل عن سر الاسم الغريب فقال

ـ كان ندر عليا اسميه علي اسم ابويا سيد لكن النهارده بعد لما عرفت ان سلطان العرب انتصر في معركه هاجوفا شمال المجر وذل ملوك اوروبا اقسمت براس ابويا اني لو جبت ولد هسميه سيد هاجوفا

ابتسم راشد وقال

ـ اللي جاب لك يخلي لك يامعلم سليمان ولا اقول لك ياابو سيد هاجوفا ؟..... اسيبك انا يامعلم

أنصرف راشد وألتفت سليمان الي ام هاشم وأعطاها الطفل ودخل الي

زوجته يطمأن عليها وقال لها مداعبا

ـ الواد هاجوفا ضايع عليا صلاه الفجر في الجامع

وأنصرفت ام هاشم الدايه بعد ان وضعت الرضيع بجوار امه في الفيراش واخذت حلاوه المولود حفنه دنانير من سليمان

وتتابعت الايام علي طاعة الملك الجبار رب السماء والارض وحفظ هاجوفا القران وتعلم من ابيه فنون المبارزه بالسيف واسرار العصا والنبوت وركوب الخيل كالفرسان ،وكثيرا ما كان يقول سليمان لولده

ـ لتكن قوتك في خدمه الناس ونصره الضعيف ورد المظالم عن الناس

جادت السماء ببركاتها علي هاجوفا ونما نموهائلا مثل بوابه مصر طول فارع ، عرضة منبسط وساعدة مثل الثور ، ساقه جبل من جبال سيناء ، قسماتة هادئة يلمئها ماء الحياه واستمد قوته من العمل الشاق مع ابيه في المحجر بعد ان انهي الدراسه في الكتاب وتعلم القراءة والكتابه وسعد قلب ابيه سليمان عام اثر عام بولده هاجوفا ، وكان يمضي مع ابيه كل فجر الي المسجد ويتابع التدريب مع ابيه في الجبل بعد الصلاه قبل العمل كما كان يفعل ابيه منذ صباه فهو ايضا تعلم كل شئ علي يد احد الجنود الفارين من السلطان لكن هذا كان منذ زمن بعيد ، عند المساء يجلس هاجوفا بين يدي ابيه يقراء ما تيسر له من حفظه للقرأن حتي لا ينسي ويلقنه ابيه اداب السلوك والحياه، وكثيرا ما كان يجلس مع ابيه في مجالس العلماء والتجار واصحاب الحرف وكان يتابع هاجوفا الحديث باهتمام دون ان يتفوه بكلمه .

لم ينعم هاجوفا بالاصدقاء مثل اقرانه نظرا لضخامته فكانت الاطفال تنفر منه وهو ايضا لم يشعر بداخله برغبه في اللعب معهم ولم يستهويه الجلوس مع اقرانه ولم يفوز سوي بصديق واحد وهو شمس الدين البنا و كان يلازمه في كتاب الشيخ منصور هو واخته زينب البنا لكن سرعان ما بداء يظهر عليها ملامح الانوثه وتختفي الطفوله من جسدها النحيل فظلت في المنزل مثل باقي البنات

شجاعة وقوه شمس الدين جعلته يقترب من هاجوفا ويتخذه خليله خاصه بعد ان عرض عليه ان يعلمه كل شئ عن العصا والنبوت والسيف والخيل كما يعلمه ابيه ومنذ ذلك العهد وهم تعهدا علي عدم الفراق حتي الممات ، وذات يوم قال سليمان لولده هاجوفا

ـ لقد بلغت العشرين هتتجوز امتي؟

ـ عندما يشاء الله

ـ انت بتشتغل في المحجر وعمال المحاجر رزقهم كبير وواسع

فقال هاجوفا في خجل

ـ لسه بدري ....

ـ مش خايف علي نفسك من الفتنه ؟

ـ الله يحفظ عباده المؤمنين

ـ انا قررت انك تتجوز وهبني ليك غرفه في البيت

ـ اللي تشوفه يا بويا

فقال سليمان في دهاء ومكر

ـ تحب تتجوز من بيت البنا

فابتسم سيد هاجوفا ولمعت عينه وانشرح صدره ثم اعتدل في جلسته وحاول اخفاء رغبته وقال

ـ الامر امرك

ـ شمس الدين البنا صحبك وزينب البنا زي اختك تمام .... اكيد مش هتنفع نشوف لك بيت تاني تتجوز منه

فأندفع هاجوفا قائلا

ـ انشاء الله هتنفع يابويا

فأبتسم سليمان وعرف ما يكن في صدر ابنه تجاه زينب البنا ولم يمضي العام الا والحاره كلها كانت تحتفل بزفاف هاجوفا علي زينب البنا بعد ان علقت الاعلام والزينه وكلوبات الاناره وذبحت الذبائح وهبطت الولائم

رفع شمس الدين نبوته في وجه هاجوفا ليشاركه الطحطيب احتفال بزفافه فخلع هاجوفا عبائته البيضاء والتقط نبوته من ابيه وتعالت صيحات اهالي الحاره مشجعين العريس يوم عرسه وتبادل مع صديقه الطحطيب في شئ من المرح بضربات خفيفه وانتهت بفوز العريس كعاده الافراح دائما .

اغلق هاجوفا باب غرفته بعد زفافه علي انغام المزمار ورقص له كل اهل الحاره والتفت الي زينب الجالسه علي طرف الفيراش قائلا

ـ يارب لك الحمد ولك الشكر .... الف مبروك ياست البنات

ابتسمت خجلا وقالت

ـ الله يبارك فيك ياسيد

ـ هاجوفا ... انا بحب الاسم ده اكتر

ـ بس انت سيد علي قلبي وكل حته فيا

ـ بتحبيني يازينت؟

ـ وده سؤال يا معلم سيد ... يووووه دا انا بعشق التراب اللي بتمشي عليه .. طب انت عارف اني كنت ببعت الاكل مخصوص لشمس في المحجر عشانك وكنت بتمني انك تعرف اني انا اللي طبخه بأيدي عشانك

ـ ولله انا مش مصدق ... انا كنت بتمني من ربنا انك تكوني حاسه بيا

ـ دا انا حاسه بيك وعايشه ليك دا انا خدامتك

ـ لا انتي تاج فوق راسي وست البنات وست الستات ... ربنا يقدرني واسعديك ... بس المهم احنا عايزين نصلي ركعتين لله عشان ربنا يفتحها علينا النهارده وباقي ايام حياتنا مافيش اجمل من الواحد يبداء حياته مع اجمل مخلوقات الارض بركعتين لله

يستيقظ هاجوفا علي خبط عنيف علي الباب ويتسلل الي أذنه صوت شمس الدين قائلا

ـ كل ده نوم يا عريس ... اصحي العصر وجب

نهض من فراشه وارتدي جلبابه مسرعا وخرج من غرفته ليجد ابيه وصديقه يجلسان في صدر الدار

ابتسم شمس و ضمه الي صدره قائلا

ـ صباحيه مبارك ياعريس .... ايه النوم ده كله

ـ عقبالك ياشمس

ـ في حياتك يا اخويا انشاء الله

خرجت زينب من غرفتها حينما دخلت عليها امها الدار بزغاريت اهتز لها البيت فرحا قائلا

ـ بسم الله ماشاء لله عيني عليكي بارده .... حصوه في عينك يالي

ماتصليش علي النبي

توارت زينت وامها داخل الغرفه قائله لها

ـ تعالي ... احكيلي

ـ احكيي لك ايه ياامي حرام احكي الحجات دي

ـ حرمت عليك عشتك تعالي دا انا امك ... ولازم اطمن عليكي

توالت الايام وهاجوفا ينعم في الفردوس مع زينت ورضا بما قسمه الله له وصدره يمتلئ بالقناعه والرضا لحياته وتفانا في عمله وحبه لزينب وعبادته لله الواحد الاحد فلم يترك فرض الله ابدا وكان اشد الناس حرصا علي الصلاه في المسجد خاصه صلاه الفجر وما يتبعها من نسمات الصباح وهو يقراء القرأن ويتدرب في الجبل قبل العمل حتي جائت زينت في ذالك اليوم تقول له

ـ يا ابو سليمان

ـ انت عايزه حاجه من ابويا

ـ لا انت ابو سليمان الصغير

قفز في الهواء وظل يرقص فرحا كالمجاذيب وهو لا يصدق ما سمعه منها فقالت

ـ ام هاشم الدايا قالت لي اني حامل في شهرين

عمت الافراح الدار وظل ينتظر مولوده بفارغ الصبر ويعد الايام والشهور في انتظار طفل من صلبه يحمل اسمه .

رفع هاجوفا كوب الينسون واتجه الي داخل المقهي وجلس في زاويه بعيده شارد الذهن حتي اقطحم عليه شمس خلوته وشتت افكاره قائلا وهو يجلس بجواره

ـ انت هتشيل الهم من دلوقت .... ماتخفش العيال بتيجي برزقها

ـ عيال ايه اللي انا هشيل هما انت ماتعرفش اللي حصل

ـ ايه اللي حصل ؟

ـ الوزير ناصر الدوله اخد اربعين الف فارس وسيطر علي وجه بحري واتمركز هناك واعلان استقلاله عن القاهره

ـ عادي ما طول عمر الجنود الاتراك كلاب ... اكيد قال في عقل باله ان السلطان مشغول بالحرب وتوسيع الملك في بلاد اروبا ومش فاضي والوالي العثماني خروف بديل ازعر مالوش لازمه ومش هيعمل حاجه ياصحبي دي مش اول مره ...الخيانه والغدر في طبعهم واكيد السلطان هيبعت فرقه تآدبه وهيعزل الوالي ويجب لنا خروف غيره

ـ السلطان خسايره كبيره في الحرب وبعت رساله للوالي ردا علي طلب المدد قال له فيها جاهد مع ناصر الدوله فنحن لا نملك ان نرسل لك المدد والعون

ـ يعني ايه

ـ يعني ربنا يتولانا برحمته

انتبه هاجوفا لصيحات طفل من اطفال الحاره يصرخ مناديا عليه قائلا

ـ مراتك بتولد يامعلم هاجوفا وابوك بيقول لك ابعت هات الدايا

اندفع هاجوفا خارج المقهي وقال شمس له وهو يحاول ان يلحق به

ـ روح انت اطمن عليها وانا هجيب ام هاشم وهاجي

ـ اوعي تآخر ياشمس

ـ مسافه السكه

جادت السماء مره اخري علي هاجوفا ورزقه الله بطفله سليمان وعمت الافراح الدار وآنفق مما رزقه الله عيش وفول نابت علي اهل حارته وظن انه سينعم بالجنه في حضن ابنه وزوجته الي نهايه العمر حتي صباح يوم من الايام كانت الشمس شديده الحراره وكان هو وشمس الدين يباشران عملهم في المحجر كالعاده وسمع صوت احد يصرخ مناديا عليه من بعيد وهو يصعد الجبل و يقول

ـ انقذ ابوك يامعلم هاجوفا

تقلص وجه هاجوفا وتعجب وعقد حاجبيه وقال للرجل

ـ في ايه ياجدع ؟

ـ عساكر ناصر الدوله هجمت علي الغوريه والابجيه والحطابه والدرب الاحمر وداخله علي الجماليه وابوك لم رجاله الحاره وخارج لهم يتعارك معاهم

ـ يتعارك معاهم ليه ؟

ـ عساكر ناصر الدوله بتهجم علي الحارات وبتقتل وتنهب كل حاجه في طريقها عشان يسيطرو علي القاهره

ـ والشرطه راحت فين والجنود السودانين

ـ الشرطه سابت البلد وهربت فص ملح وداب والجنود السودانين راحو علي الصعيد بيقتلو في الاهالي والنسوان والاطفال ومش سيبين حد وبيسرقو كل حاجه وابوك لما عرف طلع عشان يتعارك مع جنود ناصر الدوله قبل مايدخلو علي الجماليه ويذبحو اهل الحاره

انتفض جسد هاجوفا وغلي الدماء في عروقه ودق قلبه رعبا علي ابيه واتجه نحو الدار هو وشمس واستقبلته زينب والرعب يملئ وجهها وقلبها حامله الطفل علي زراعيها وصرخ قائلا....

ـ ابويا فين يا زينب

ـ العساكر خطفت نسوان كتير من الحاره واطفال وابوك خرج وراهم بالنبوت هو ورجاله الحاره

دخل هاجوفا غرفته واخرج من اسفل السرير نبوت وسيف له نصل حاد لامع واعطي النبوت لشمس واخذ هو السيف وصرخ في زوجته قائلا

ـ خالي بالك من امي يازينب واقفلي عليكم باب الدار وماحدش يخرج

خرج هاجوفا يركض مثل الثور الهائج ومعه شمس الدين صوب حي الجماليه لنجده ابيه واهل حارته فكانت الجماليه تشتعل بعراك ملتهب بين فرسان نصار الدوله علي خيولهم واهالي الحاره بالنبابيت وبدأت تخور قواهم ويتقهقرون ويسقط من اهالي الحاره العشارات بين قتيل وجريح وتسرب الخوف الي قلوبهم حتي ظهر بينهم هاجوفا يصرخ مثل الوحوش في البريه شاهر سيفه يركض نحو فارس علي فرس كان بمثابه اسد يركض تجاه فريسته والفارس يتجه نحو هاجوفا بفرسه شاهرا سيفه وعندما اقترب منه اطاح هاجوفا رأس الفرس بضربه سيف واحده وسقط الفرس والفارس وطعنه هاجوفا بسيفه وصرخ قائلا

ـ انا الموت ..... انا هاجوفا

وقفز نحو فارس اخر واسقطه من فرسه وطعنه بسيفه وأعتلي الفرس وراح يقتل فرسان ناصر الدوله بسيفه كالمجنون فضربه سيف واحده منه كانت تطيح برأس الفارس من فوق كتفيه وعندما شاهده اهل الحاره اصابتهم حاله من الذهول من قوه هاجوفا وشراسته في القتال فكان يقاتل بمثابه خمسون فارس وشمس الدين يقاتل بجواره بشجاعه لا تقل

عن شجاعه هاجوفا لكن براعه وقوه سيد هاجوفا كانت لا مثيل لها وكأنه رضع من ذئب او مسه الشيطان وتملكته قوه خارقه جعلته يترجل من فرسه ويقاتل العشرات بسيفه ويضرب الفرس لكمه يسقطه علي الارض وضعن الفارس بعد الفارس ويلتف الفرسان حوله فيقاتل في شبه دائره ويقتل العشرات منهم ويصيح و يكبر ويهلل من حين الي اخر مما دفع كل رجال الحاره الي القتال وعادت الثقه لهم وشعرو بأن النصر قريب فقاتلو معه قتال الابطال قتال رجل واحد واحتمو به وسمع صوت احد الرجال يقول

ـ المعلم سليمان وقع ... ابو هاجوفا جريح

فصرخ هاجوفا قائلا

ـ شمس شوف ابويا فين وشيله علي البيت

وظل يبحث عنه وسط ساحه الجماليه ثم لمح ابيه وشمس يحمله بين زراعيه ودماء تتساقط من رأس سليمان فصرخ وجن جنونه وقاتل بشراسه وكأنه يتلبسه الف رجل فحمل نبوت وجده علي الارض في يده اليسرا وسيف في يده اليمني وكانت ضربه واحده من نبوته كفيله ان تهشم جمجمه رجل وكأنها حجر وضربه سيف تقسم رجل نصفين ومتلئ جلبابه ووجه دماء وتكاثر عليه الفرسان بخيولهم في شبه دائره لكنه قفز علي احدهم وأسقطه من علي فرسه واخذ ترسه يحتمي بيه ورمي نبوته علي الارض وتطايرت الرقاب وهو يصرخ ويصيح

ـ انا الموت انا هاجوفا

هرب ما تبقي من فرسان ناصر الدوله خارج الجماليه تاركين خلفهم ما سلبوه من بضائع واقمشه ونساء واطفال وأموال هاربين الي حي الدرب الاحمر الملاذ الاخير لهم فهم سيطرو عليه قبل معركه الجماليه ولم يجدو مقامه من الاهالي كما وجدوها هنا في حي الجماليه وكان يقدر عددهم بمائه فارس وقتل منهم اكثر من خمسون ودخل هاجوفا الحاره محمول علي الاعناق وكل الاهالي تهتف بأسمه متعجبين من قوته وشجاعته التي فاقت كل تصور حتي هو نفسه تفاجاء بما فعله ولم يدرك كيف ظهرت كل هذه القوه المختبئه بداخله

اصطف اهالي الحاره امام دار هاجوفا حينما دخل ليطمأن علي ابيه وفور دخوله وجده علي الاريكه مستلقي علي ظهره وحوله امه وزينب وشمس وضماضه علي رأسه فجلس علي ركبتيه ومسك كف يد ابيه وقال له والدمع انفجر من عينه

ـ الف سلامه عليك يا أبويا ياريت كنت بدالك

بتسم سليمان وقال

ـ بعد الشر عليك ياوحش الحاره ..... دا جرح خفيف اطمن .... عمر الشقي بقي

فينظر هاجوفا نحو شمس وقبل ان يسأل يجيبه قائلا

ـ اطمن ياهاجوفا .... ابوك بخير ولله جرح بسيط

يمسك سليمان يد ابنه ويقول

ـ طمني عملت ايه

ـ هربو علي الدرب الاحمر والحمدلله

ـ ماتفرحش قوي هيرجعو تاني ويمكن يرجعو قبل الفجر

فيقول شمس لسليمان

ـ اطمن يامعلم سليمان لو رجعو تاني هنديهم علقه سخنه زي دي

نظر سليمان لشمس وهاجوفا وقال لهم

ـ لازم نحمي الحاره واهلها من كلاب الاتراك .... النسوان والاطفال واهل الحاره في رقبتك ربنا عطاك قوه الجبال لازم تنصر بيها الضعيف وترد بيها المظالم وأوعاك والتولي يوم الزحف

ـ ماتخفش ياأبويا ارتاح انت بس وماتشالش هم حاجه

ـ ياشمس الحاجه اللي اتسرقت لازم ترجع لاصحابها النهارده

ـ الحاجه كلها بره يامعلم ماتخفش .... ارتاح انت والصباح رباح

ـ لا لا خد هاجوفا وروحو وزعو الحاجه اللي رجعت علي اصحابها واطمن زينب وام هاجوفا معايا .

اصطفت الاهالي حول شمس وهاجوفا وسط الحاره وبجوارهما جميع ماسلب منهم وبداء هاجوفا في توزيع المسروقات الي اصحابها وسط هتاف الاهالي له ثم تقدم احد الرجال ولثم كتف هاجوفا قائلا

ـ احنا رجاله وبنقدر الراجل الجدع ... من النهارده انا معاك كتفي في كتفك واعتبرني واحد من رجالتك

ثم رفع نبوته وحيا هاجوفا وتتابع خلفه كل رجال الحاره يلثمون كتف

هاجوفا وينضمون اليه وهم يهتفون بأسمه واثقين فيه ... يحملون ارواحهم علي كفوفهم وشعر هاجوفا بأن علي كتفه حمل ثقيل اثقل من جبل المقطم وعيناه حائرتان يتفحص وجوه رجال واطفال الحاره فتقدم عده خطوات ورفع يده حتي يسكت الناس وبعد ان عم الهدوء وشعر الجميع انه يرغب في قول شئ قال بصوت كالجبل

ـ ياأهل الحاره ... يا أهل مصر لازم تفهمو ان في خطر كبير علي مصر خطر من قلب القاهره لازم نقف وقفه راجل واحد لازم نكون ايد واحده عشان نحمي بلادنا مصر ، البلد دي اهم من الف واحد زي هاجوفا انا اموت عشانكم وعشان البلد دي تعيش ولله ولله كمان مره انا عندي استعداد اموت ولا اني اشوف واحد منكم قاعد في بيته خايف بس لازم تسعدوني لان الخطر لسه موجود وهيرجع تاني لازم نحاربه من النهارده لازم نشتغل مع بعض ونكون ايد واحده عشان خاطر بلد واحده

هتفت الناس بأسم هاجوفا ووصلت القلوب الحناجر وأنفجرت الدموع من العيون فصرخ هاجوفا فيهم وقال

ـ مصر ... مصر ... مصر

وردد الناس من خلف هاجوفا اسم مصر وملئت اصواتهم الجماليه كلها .

وكانت هناك اصوات اخري في حي الضرب الاحمر اصوات صراخ تخرج من قلب وحنجره يوسف بك قائد الجند المكلف بتأمين والسيطره علي احياء القاهره كان يصرخ غيظا مما حدث لجنوده بعدما عاد له ماتبقي منهم وسمع روايه الجنود لما حدث لهم من هاجوفا الملقب من الجنود بأسم الشيطان لما اظهره من براعه في القتال والقوه الجباره . واشتعل يوسف غيظا حتي انه اشهر سيفه وقتل احد الجنود بعدما قال له

ـ دا مش بني ادم .... دا شيطان ... كان بيتحرك زي الريح وموجود في كل مكان في الحي

لكن يوسف بك القائد العثماني المتمرد لم يهداء بقتل جندي فأمر بمثول مراون بك ضابط الحمله امامه ولم يلبث سوي دقائق وكان مروان يقف امامه داخل احد بيوت الاثرياء التي اتخذها مقر ومسكن له قائلا

ـ تحت امرك يوسف بك

ـ انا عايز افهم ايه اللي حصل في الجماليه ده ؟

ـ مجرد مقاومه شعبيه زي باقي الاحياء وهنأدب الحي كله

ـ لا كل الاحياء اللي سيطرنا عليها وعلي اهليها مطردوش الجنود بره

الحي وقتلوهم

ـ يوسف بك انا عايزك تهداء دي مجرد اهالي مايعرفوش حاجه عن الحرب والكر والفر وفنون القتال ومن المؤكد ان عدد الاهلي كان اضعاف عدد الجند اللي بعتناهم هناك

ـ اسمع يا مروان انا عايزك انت تخرج علي راس ثلاثمائه فارس وتعسكرو في حي الجماليه وتجيب لي راس الكلب اللي اسمه هاجوفا قبل طلوع الشمس

ـ امرك يوسف بك لكن هاجوفا دا مش مهم عشان نجيب راسه وياخد وضع اكبر من وضعه

ـ انا مش هستني لما يتولد بطل وسط الاهالي ويلم الناس حواليه ... هاجوفا دا لازم يكون عبره للناس كلها قبل شروق شمس بكره

وقبل ان ينصرف مروان بك توقف لحظه وقال

ـ يوسف بك ممكن سؤال

ـ اتفضل

ـ ليه مانسيطرش علي قصر الوالي ونعلن ناصر الدوله سلطان البلاد واستقلاله بحكم مصر عن الدوله العثمانيه وبعدها نأدب الاهالي ونسيطر علي القاهره عن طريق الشرطه خصوصا ان كل الفرسان اللي في القاهره تحت امر نصار الدوله

ـ عشان انت غبي مروان بك .... عزل الوالي واعلان ناصر الدوله سلطان في تحدي واضح للباب العالي وده هيخلي السلطان يحرك جيش لمحاربه ناصر الدوله وسعاتها الجنود السودانين اللي هربو علي الصعيد هيحربوك واهل مصر المتمردين هايحربوك وجيش السلطان بيحرب خارج اسوار القاهره لكن فرصتك الوحيده انك تسيطر علي احياء القاهره وبعدها تحاصر الجنود السودانين في الصعيد وده امر سهل .... وبعد ماتحكم سيطرتك علي البلاد وتفرد سلطانك هيبقي سهل تعزل الوالي ونصب ناصر الدوله سلطان ونقدر كمان نلم عدد كبير من الرعاع اللي موجوده في الشوارع ونرميها امام السلطان العثماني نرهقه بيها وبعدها نحاربه وأوعي تنسيي ان احنا مشتتين جنودنا في الصعيد بيحاربو الجنود السودانين والباقي في البحيره والمنصوره ووجه بحري وللي فضل من الجنود معانا هنا في القاهره

ـ رأيك سليم لكن

فقاطعه يوسف بك وقال في حزم

ـ كفايه كلام وروح جهز الجنود للخروج علي الجماليه

أنصرف مروان وخرج من مقر يوسف بك وأتجه نحو جنوده وبداء في تجهيزهم وتجهيز الخيل والدروع والسيوف وأخذ حمله من ثلاثمائه فارس وركب فرصه وأتجه صوب حي الجماليه قرابه الفجر ومع نسمات الفجر وقبل بزوغ نور الشمش كان علي اعتاب حي الجماليه والسكون والهدوء يسيطر علي الحاره كلها فكل الدكاكين كانت مغلقه والصمت يسيطر علي المكان لا صوت سوي صوت الرياح التي تهب عليهم من جه الشرق وفي خطوات يملئها الحظر بداء يتسلل الجنود داخل الحاره وحوافر الجياد وصهيلها بداء يملئ أرجاء الحي وكآن الحاره خاويه تمام من البشر وظل يتابع مروان بك بنظره المنازل والدكاكين والجنود التي تتقدم حتي توغل تمام هو وجنوده داخل الحاره واصبحت البيوت علي يسار ويمين الجنود ولا مخرج لهم سوي استكمال الطريق او العوده الي الخلف فبداء يتسرب القلق الي قلب مروان لعدم وجود اي مقاومه وظن ان عنصر المفاجاءه في خدمته حتي انتبه لسقوط حجر صغير الحجم بجواره فنظر الي الاعلي ليجد طرف شخص ينظر له من اعلي اسطح احد المنازل وصرخ في جنوده لتتراجع لاكتشافه للمكيده التي وقع فيها لكن وقت التراجع قد انتهي بعد ان سد اهالي الحاره المنفذ الامامي لها بعربات الخضار والكارو مما دفع مروان للتقدم بكل سرعه وهو يصرخ في جنوده ولكنه تيقن ان الموت هو السبيل الوحيد للخروج من تلك الحاره والحي بعد ان تم صد المخرج المامي للحاره بعربات الكارو وعربات الخضار وابداء الاهالي والرجال في إلقاء الحجاره من فوق اسطح المباني حتي انه كان يلزم اربع رجال اشداء لرفع حجر واحد وتعالت صيحات الجنود والصراخ وبعد ان مات نصفهم وضعفت قوه النصف الاخرخرج عليهم هاجوفا ورجال الحي من كل نصب ومكان ومن ابواب البيوت ومن الشقوق والحواري المجاوره بعد ان كانو مختبئين في انتظار اشاره الهجوم من هاجوفا وكان القتال اشرس ما يكون وبرع هاجوفا في القتال بسيف وكآنه ولد فارس وكان اشد براعه عندما التقط النبوت من شمس بعد ان سقط سيفه وقتل العشارات وتطايرت الرؤوس وتحطمت العظام وتحشمت جماجم الفرسان وشق العشرات من الفرسان الي نصفين فكان مثل الثور او الوحوش في البريه صيحاته تلهب اهالي الحاره وكلما كبر ردد العشرات من اهل الحاره كلمه الله اكبر من خلفه

وبينما كان مروان بك علي فرسه يقاتل بشراسه دفاعا عن روحه والامل في النجاه والخروج من ارض الجماليه يداعب مخيلته سقط نظره علي

هاجوفا وهو يقاتل وكانت نظره واحده كفيله بمعرفته فهو الاسد والريح والموت الذي يسير علي قدمين هو القوه الجباره والمهاره في القتال فتقدم مروان بك بفرسه نحوه ورفع سيفه في الهواء وقبل ان يطعن هاجوفا من الخلف صاح عليه بأسمه فنظر له وتأكد انه هو لكن نظره القوه في عين هاجوفا اربكت مروان وجعلته يفكر لحظه قبل ان يطعنه مما سمح لهاجوفا بارفع نبوته امام وجهه يتلقي به ضربه سيف مروان التي اسقطته علي الارض وجعلت جسده يهتز وتخور قواه ويسقط النبوت من يده وقبل ان يتلقي الضربه الثانيه من مروان التقط سيف من علي الارض وتلقي عليه ضربه مروان للمره الثانيه ثم بخفه ورشاقه معهوده منه قطع سرج الحصان وسقط مروان علي الارض وتلقي عده ضربات قويه وعنيفه وسريعه من هاجوفا لكنه تلاقها وظل يبارز هاجوفا وكلما ثبت امامه كلما تسرب الرعب والخوف الي قلب مروان فهو لم يلاقي عدو بهذه القوه من قبل وبعد ان نفد صبر هاجوفا من المبارزه ورغب في حسم أمر المبارزه ضرب مروان بقدمه في صدره ضربه قويه جلته يسقط للخلف بعد ان كسر احد ابواب المنازل

سقط مروان داخل احد المنازل علي اثر ركله هاجوفا له فنهض ومسك سيفه واطلق لساقيه الريح نحو سطح المنزل لكن هاجوفا اتبعه الي الاعلي وبارزه مبارزه الفرسان فتعجب مروان لمهارته وصرخ قائلا

_ انت شطان

قال هاجوفا بقوه وحسم

_ انا مصري .... خير جنود الارض

وعندما شعر مروان بأن الهزيمه والموت هو مصيره صرخ فيه قائلا

_ انا مروان بك قائد الحمله

فتوقف هاجوفا عن المبارزه واقترب منه وهو شاهر سيفه في وجه مما دفع مروان برمي سيف بعيدا ليشهر استسلامه فنذع هاجوفا خوذه مروان ولفه ساعده الذي يشبه جبل المقطم حول عنقه ووضع نصل السيف علي صدر مروان للتهديد وقال له

_ قول للعساكر تستسلم وترمي سلحها وانا هسيبك تعيش

وبعد تردد وعناد من مروان جرح هاجوفا صدر مروان بنصل السيف فأندفع نحو صور السطح وصرخ في الجنود وأمرهم بالاستسلام

انقضي نصف النهار وعساكر مروان بك تحمل القتلي والجرحي وتضع

الجميع فوق عربات الكارو وشمس الدين وسط الحاره يحصا ويعد السيوف والدروع والخيل والمعلم سليمان كان يقف معهم يحصي عدد الاسرا والاطفال تلهو في الحاره حول الجنود المقيدين ويصرخون ويلعبون بالعصا وكأنهم في معركه وكل منهم يصرخ علي صديقه ويقول انا هاجوفا ولم يضاهي الاطفال احد في العدد والكثره غير الذباب الذي ملئ الحاره . ومع فجر اليوم الثاني استيقظ يوسف بك علي فاجعه لم يتوقعها ابدا فلم يجد جنود حملته التي ارسلها الي الجماليه عائده له بل وجد اشباه حثث تكاد تكون فيها الروح معلقه في مدخل الحي وعلي رأس مروان بك ورقه مكتوب عليها

(بسم الله الرحمن الرحيم انه من هاجوفا عبد الله الفقير وخادم اهل حارته وشعب مصر ارحل تسلم ، ارحم اهل الحارات والاحياء نرحمك ونعيدك الي اهلك سالما والا خرجنا عليك من كل مكان)

جلس هاجوفا متكئ علي فراشه بجوار زوجته يحتسي كوب من الجنزبيل و يستنشق نسمات الصيف وقت العصر وهو شارد الذهن وظهر في عنيه الحمل الثقيل فأقتربت منه زوجته قائله

ـ الناس كلها في الحاره والحارات اللي جنبنا مالهاش غير سيرتك واللي عملته في جنود ناصر الدوله

ـ الناس غلابه يازينب عايزه اي حد يحتمو فيه ومش عايزين يصدقو ان الحامي هو الله

ـ بس ربنا برضه قال اننا لازم ناخد بالاسباب وانت ربنا جعلك سبب في نصره الناس ولله ياسيد لو تشوف فرحه الناس بيك مش هتقول اللي بتقوله ده

ـ انا شايل هم الناس وهمك وهم امي وابويا

ـ سبها علي الله وماتشالش هم حاجه ابدا ... هيجرا ايه يعني اكتر من اللي جرا طب دان سامعه من الناس انك بكف ايدك ده خرجت قلب واحد من صدره بلكمه واحده

ينفجر هاجوفا ضاحكا ويسقط قطرات من الجنزبيل علي جلبابه ويقول

ـ الله يجازي شطانك يازينب .. وانتي صدقتي

ـ ومصادقش ليه هو انت شويه طب دي العيال في الحاره ماورهاش حاجه طول النهار غير لعبه هاجوفا والعسكر هو اللي انت عملته شويه

كفايه ان حي الجماليه الحي الوحيد اللي مافهوش عسكري واحد

ـ بس باقي الاحياء متبهدله يازينب

ـ ليهم رب اسمه الكريم وبعدين رجاله الحارات التانيه مش ساكته وكل يوم والتاني عركه مع الاتراك

ـ بس مش قادرين عليهم انا حاسس ان لازم اعمل حاجه للناس دي ربنا عطاني القوه عشان استخدمها في الخير ورد المظالم عن الناس مش عشان اقعد احمي حارتنا وبس

ـ الا قولي يا سيد انت ماخفتش ياخويا من العسكر والخيل ولا كان قلبك جامد

ـ الا خوفت دا كنت مرعوب وساعت كتير وسط العركه كنت احس ان السيف بقي وزنه يجي ميت رطل وكان هاين عليا ارميه من ايدي واستسلم لكن كنت افتكر اني لما هقع العساكر هتبهدلك انتي وابويا وامي والواد سليمان كنت احس ان في قوه حالت في جسمي ورعشه غريبه والسيف بقي في يدي زي الريشه

ـ خفت من الموت ياسيد

ـ انا خفت عليكي وعلي الواد واهل الحاره .... هو في حد يخاف من الموت

ـ اه كل الناس بتخاف منه

ـ الناس اللي ايمانهم ضعيف انما اللي ايمانه قوي يتمني الشهاده عشان يفوز بالجنه ورؤيه سيدنا النبي

ـ انا سمعت من الشيخ منصور لما كنت في الكتاب وانا صغيره انا الشهيد يشفع لسبعين واحد من اهله

يعني لو جرا لك حاجه بعد الشر هتدخل الجنه وتشفع لي وتخادني معاك

ـ اشفع لك واخديك معايا ..... هو انتي ناويه تكتمي علي نفسي دنيا واخره كمان يازينت

ـ اخص عليك ياسيد وده كلام

ـ الملافظ ملافظ سعد يازينب انتي عايزاني اموت ولا ايه ؟

في تلك الاثناء كانت عساكر يوسف بك تجوب شوارع والاحياء

تدهس اهالي الحارات تحت اقدام الخيل انتقام من هاجوفا ولم يكتفي بذلك بل قتل الكثير من الاهالي شنقا علي ابواب القاهره وقطع رؤوس النساء علي المقصله وتحول الدرب الاحمر الي بركه من الدماء

وصلت الانباء الي هاجوفا الجالس علي المقهي من احد رجاله الاوفياء لكن الفاجعه عندما دخلت سيده ترتدي السواد تصرخ مناديه علي هاجوفا وكأن الموت يطاردها فنتبه لها اهل الحاره كلها ثم وقفت امام هاجوفا وانحنت علي قدميه تقبلهما وتقول

ـ العساكر خطفو ابني وذبحوا جوزي .... رجعلي ابني يامعلم

فيحاول شمس البنا ابعاد السيده فيقول

ـ ابعدي ياست ... وهو المعلم هاجوفا ماله ومال حاجه زي دي

فيستوقفه هاجوفا ويقول للسيده

ـ بحق من خلق السموات والارض ابنك هيرجع ماتخفيش

ويأخذ السيده الي داره وينادي علي زوجته ويقول لها

ـ يازينب الست دي ضيفه عندنا لحد ما نرجع لها ابنها المخطوف اكرميها

فتنظر زينب الي السيده في عطف وتحتضنها وتواسيها

ـ انتي من انهي حاره

ـ انا من الدراسه

ـ طب تعالي هاجبلك جلبيه من عندي والمعلم ان شاء الله هيرجع لك ابنك واحنا هنا كلنا اهلك وناسيك

انطلق هاجوفا الي شمس الدين الجالس علي المقهي قائلا

ـ جمع الرجاله كلها ياشمس

ـ خير يا معلم

ـ هننزل الدراسه

ـ مستحيل انت كده اتجننت ياهاجوفا دي مش هتبقي عركه دي هتبقي حرب

ـ هي فعلا حرب واحنا جنودها

ـ الناس اللي معاك دي مش عسكر دول اصحاب حرف

ـ هما فعلا مش عسكر لان العسكر هما الاتراك الكلاب اللي بيحاربو عشان غنائم الحرب اما رجاله مصر لما تحارب بيبقي اسمها جنود مصر

ثم يتجه هاجوفا الي وسط الحاره ويصرخ في الجميع ويقول

ـ يا اهل الحاره يارجاله مصر في يوم من الايام كلنا هنموت اللي عايز يموت في سريره زي النسوان يخليه قاعد هنا وانا هحميه بعون الله الملك الجبار واللي عايز يموت راجل شهيد وهو بيدافع عن ارضه وعرضه وشرفه يجي معايا عشان مش هتطلع شمس بكره وفي عسكري واحد في حي الدراسه

يقف الجميع ينظر الي هاجوفا في صمت دون ان يتفوه احد بكلمه واحده مما جعل هاجوفا يتعجب ويعود ويقول

ـ مستنين ايه ... نسوانكم العساكر بيعروهم ملط في الشوارع والحارات مستنين لحد ماالعسكر التركي يزرعوا اطفالهم في بطون نسوانكم

فيصرخ كل رجال الحاره بأسم هاجوفا ويتحرك هاجوفا ومعه شمس البنا وثلاثمائه رجل من رجال الحاره ومن انضم اليه من الحارات المجاوره صوب الدراسه

وصل هاجوفا الدراسه عند الظهر ودخلها مقيد بالحبال ومعه شمس علي يمينه ووقف وسط الحاره وتقدم شمس وسط الحاره وقال

ـ يوسف بك ... هاجوفا بين ايدك متكتف زي الخروف

ثم ضرب هاجوفا بنبوته علي ظهره واسقطه ارضا علي ركبتيه

فخرج يوسف بك ووقف امام هاجوفا وشمس ومن حوله كل جنوده وكان تعدادهم لا يتجاوز الخمسين فارس نظرا لتمركز اغلب جنود يوسف بك في حي الدرب الاحمر ثم علي حين غره رفع شمس البنا نبوته وضرب يوسف بك ضربه قويه علي راسه جعلته يسقط ارضا وقبل ان يشتبك كل جنود يوسف بك مع شمس كان هاجوفا تخلص من قيوده والتقط نبوت من شمس وقاتل شمس وهاجوفا وسط الجنود مثل النمور الاسيويه او الاسود الافريقيه ثم هجم باقي الرجال من كل مكان بعد ان كانو مختبئين علي ابواب الحي في انتظار صافره هاجوفا للاشتراك في القتال ولم يدوم القتال كثيرا بل قبل اذان العصر كان هاجوفا يسيطر علي حي الدراسه كله وبعدها ظل يبحث وسط الحي عن ابن السيده حتي عثر علي ثلاث اطفال وارسل شمس في طلب السيده للتعرف علي ابنها من بين الاطفال وعندما عثرت الام علي طفلها ابتسم هاجوفا قائلا

_ الحمد لله

لكن سرعان ما اكتشف هاجوفا ان يوسف بك هرب من الدراسه وسط المعركه فأمر شمس وباقي الرجال بحمايه حي الدراسه والجماليه وأخذ معه مائه رجل وتحرك صوب حي المغربلين وكان القتال هناك اشرس واعنف ما يكون بين هاجوفا وعسكر يوسف بك لكن هاجوفا لم يظفر بالقبض علي يوسف بك بعد ان سيطر علي حي المغربلين لانه فر هاربا صوب حي الدرب الاحمر وعلي مدار ثلاث اشهر من القتال ومطارده هاجوفا له استطاع بعون الله ورجاله ان يسيطر علي حي المغربلين وسوق السلاح وحي السكاكيني وحي المرداني و والدرب الاصفر بجوار الدراسه والجماليه واصبحت كل هذه الاحياء تحت قياده هاجوفا ولم يستطع اي عسكري تركي ان يدخلها او يمر بجوار اي حي منهما

وظل يوسف بك في حصنه الاخير في حي الدرب الاحمر هو وخمسمائه رجل من رجاله واشطاط غيذا بعد ان وصلت له رساله من القائد ناصر الدوله المتمركذ في الوجه البحري يقول له

(وصلنا اخبار المتمرد هاجوفا كما وصلتنا اخبار انتصراته عليك المتتاليه في عدد كبير من الاحياء وعليك ان تآتي لي برأس هاجوفا قبل ان يكون القمر بدرا والا ارسلت لك من يآتيني برأسك)

تعقدد الاوضاع مع يوسف بك فيجب عليه ان يقبض علي هاجوفا قبل اكتمال القمر بدر اي اصبح امامه اقل من خمسه ايام ولذلك أيقن تمام اليقين انه لم يهزم هاجوفا وسط الاحياء والشوارع لان هاجوفا علي درايا كبيره بها وغير ذلك فكل اهالي الاحياء والحارات تعاونه اثناء القتال فكان عليه ان يفكر في امر ما يستدرج به هاجوفا خارج الحارات ويصبح القتال بينهم في الخلاء وبذلك سيتفوق عليه بالعده والعتاد والرجال ومهارته في الكر والفر بعيدا عن سراديب الحارات

اتخذ هاجوفا حي الجماليه مقر له ومن حوله رجاله لكنه لم ينعم بالهدوء والسكينه لشعوره ان الخطر مازال يحاوط وفي تلك الحظه دخل عليه مشايخ الحارات والاحياء التي سيطر عليها هاجوفا وهم يرتدون جلاليب من الحرير وعلي اكتافهم عبائات حرير وعلي وجههم ابتسامه فقال احدهم

ـ ابشر يامعلم هاجوفا

فنظر لهم هاجوفا نظره ثاقبه ثم نهض من مقعده وقال

ـ خير ياشيخ الحاره

ـ القائد يوسف بك ساب حي الدرب الاحمر وهرب رجع علي وجه بحري

ففرح شمس الدين وجميع اهالي الحارات وتعالت الصيحات بالتكبير والتهليل وبعد ان هداء الجميع قال احد مشايخ الحاره

ـ ناوي تعمل ايه يامعلم هاجوفا

فقال هاجوفا

ـ وانت شايف ممكن نعمل ايه

ـ تخرج لهم انت والرجاله علي الطريق وتخالص عليهم عشان مايرجعوش تاني

فابتسم هاجوفا وقال له

ـ معك حق النهارده في الفجر هكون وراهم انا والرجاله بس هما فين دلوقت

ـ في جبل المقطم معسكرين هناك وهيتحرك في الفجر من الطريق القديم .... عشان خايف منك ياسيد الناس هربان منك زي الفران

فقال هاجوفا وهو يبتسم ابتسامه صفراء

ـ طبعا لازم يخاف مني انا سيد هاجوفا

وانصرف مشايخ الحارات وجلس هاجوفا وقال له شمس

ـ هي دي فرصتنا ياهاجوفا عشان نمسك يوسف بك الزراع اليمين لناصر الدوله ونكسر شوكته

فنظر هاجوفا لشمس وابتسم وقال له

ـ وانت صدقت الكلام ده ياشمس

ـ وماصدقش ليه ... مشايخ الحاره مننا واهلنا مش هيكذبو علينا

ـ مشايخ الحاره بعونا ليوسف بك وعملين فينا كمين عشان يوسف يمسكنا كلنا عند المقطم

ـ ايه اللي بتقوله ده

ـ انت ماخدش بالك من الجلاليب الحرير والعبائات الحرير اللي كانو لبسنها تقدر تقولي مشايخ الحارات الغلابه جابو الحرير منين وبكام ياشمس اعيان الحاره عندنا مايعرفوش يلبسو جلاليب حرير هيلبسوها المشايخ

ـ تقصد انهم اخذو فلوس من يوسف بك عشان يعملو فينا كمين

ـ طبعا ويوسف بك عارف اننا هنصدق المشايخ

ـ طب والعمل

ـ هينقلب السحر علي الساحر

في فجر اليوم الثاني كان يتجه هاجوفا نحو جبل المقطم ومعه مائه رجل ولم يكن شمس الدين البنا من بينهم وعندما توغل في صحراء جبل المقطم ظهر له جنود يوسف بك من الامام ومن الخلف وسقط هاجوفا في المنتصف هو ورجاله لكنه هرب هو ورجاله تجاه الممر الضيق بعد صراع لم يدوم طويلا فشعر يوسف بك ان النصر قريب وطارد هاجوفا الي الممر الضيق وبعد ان وصل يوسف بك الي الممر اكتشف ان الممر من اخره مسدود ومن حوله الجبال العاليه من كل مكان فشعر ان هاجوفا اوقع به وهاول التراجع لكن شمس الدين ظهر له من الخلف واغلق المنفذ الوحيد لهم بعربات الكارو والخضار ثم اكتشف يوسف بك ان هاجوفا ومن كان معه من رجال يعتلون الجبال من الاعلي وبداء في القاء الحجاره عليهم من اعلي الجبل وصت صراخ الجنود ولم يكتفي بذلك بل القي عليهم زيت مغلي وجاز كانت الاهالي تستخدمه في اشعال لمبه الجاز في ذلك العصر ثم امسك مشعل والقي شعلته عليهم واتبعه كل رجاله فألقي الجميع مشاعلهم ليشتعل يوسف بك ومن معه من الجنود وفي تلك اللحظه هجم شمس الدين البنا برجاله داخل الممر فكان ينتظر اشاره هاجوفا وهي اشعال الجنود وحينها دارات اشرس المعارك داخل الممر بين شمس ورجال يوسف بك ثم هبط هاجوفا من اعلي الجبل هو ورجاله واشترك مع شمس في قتال عنيف انتهي بقتل كل جنود يوسف بك والقبط علي يوسف حي وفي جسده العشرات من الطعنات والجروح فقطع هاجوفا راسه وقال له

ـ هقطع راسك زي ما قطعت راس نسوان الحارات

ولم يكتفي بذلك بل ارسل رأس يوسف بك مع احد الجنود وتقريبا هو الجندي الوحيد الذي نجا من المذبحه الي ناصر الدوله في معسكره في البحيره

ولم يمضي الا ثلاث اسابيع من الافراح بالانتصار العظيم الذي حققه هاجوفا علي الجند وتنظيف كل الحارات من الجنود الاتراك

حتي جائت البشاره لهم بعد ان عرف هاجوفا ان السلطان عاد من الحرب من دول اوربا منتصر وارسل جيش الي البحيره يؤدب ناصر الدوله وبعد عده ايام كان هاجوفا وكل اهل مصر يجتمعون عند باب زويل يشاهدون عمليه شنق القائد ناصر الدوله بعد اوامر السلطان فكان يرغب السلطان ان يجعل من ناصر الدوله عبره لكل من تسول له نفسه السيطره علي مصر وانتقام منه لما فعله جنوده في اهالي الحارات والمذابح الشرسه في حق الابرياء اما الجنود السودانين فأعلنو ولائهم للسلطان وعفاعنهم

ومرت الايام والسنين نعم فيها هاجوفا بحياه كريمه وسط ابيه وزوجته وانجب طفله الثاني داود وشهد زفاف صديقه شمس البناومات شمس عن عمر يناهز الستون عاما ومات هاجوفا في عمر السبعون عاما مات علي فراشه باكيا بعد ان خاض معارك شرسه يجد نفسه يموت علي سريره مثل باقي الناس ولم يفوز بالشهاده كما تمني

الحكايه الثانيه من روايه هاجوفا

سليمان وداود هاجوفا

القاهرة ١٦ يناير من عام ١٦٠٠م

حاره طبق (الجماليه حاليا)

... في ظلام الليل الدامس ... يتسلل صياد الظلام .. يأتي من خلفك دون أن تشعر به ، يزحف في صمت وسكون فلا تسمع شيئا .. ولا تعرف انه وراءك ، حتي تشعر بأنفاسة الكريهة وهي تلهب مؤخره عنقك ، وعندما تنجح انفاس الصياد في تجميدك في مكانك ... غير قادر علي الحركه ... غير قادرعلي الهرب .. لاتستطيع ان تحرك قدمك او تحرك ذراعك .. تبداء في سماع خطوات اقدام الصيادين فوق اسطح المباني ويتدلي من فوق الاسطح خطاطيف يزرعونها في مؤخره عنقك ويسحبونك الي الاعلي وهنا يتمكن الصيادين من تمزيق جلدك ولحمك قطعا حتي العظام،ويأكلونك ولم يتبقي منك شئ .

برزت عين داود وتدلي فكه وهز رأسه يمينا ويسارا وكأنه يصرف تلك الافكار منها وتقدم داود خطوات قليله ووضع يده علي كتف سليمان الذي انتبه له وهمس قائلا

_مالك واقف ليه ؟ ماتتحرك

فتنهد سليمان وأشار بأصبعه نحو مدخل الحاره فتحرك داود مسرعا في خفة ورشاقه ممسك نبوته في يده تحت ظلمه الليل وكأنه شبح ظهر وسط الظلام واتبعه سليمان وعبد الله يتحركان وسط حاره الطبق مثل الريح وهم يسرقون النظر من حين الي اخر الي اسطح المباني خوفا من هجوم الصيادين ، توقف داود امام احد منازل الحاره التي تضم بيوت الاثرياء ، انتظر لحظات حتي انضم له سليمان وعبد لله والتصق الثلاثه بجدار المنزل ثم همس داود قائلا وهو ينظر الي سليمان

_ انت متأكد ان البيت مافهوش حد

فتنهد سليمان ومسح بكف يده علي وجهه وقال همسا

_زي ما انا متأكد انك اخويا ابن امي وابويا ... اصحاب البيوت

بعوها برغيف عيش من كتر الجوع وسابو فيها كل حاجه

فهز داود رأسه متأسفا علي ماحدث لاهل مصر وتغير الحال حتي وصل الامر لبيع دار بأكمله برغيف خبز وبعد ان كان داود وسليمان ابناء المعلم هاجوفا تجار غلال تحبهم الناس ويخشاهم الصوص والانزال من قوتهم العضليه ومن قوه نبوت كل منهم يتحولان الي لصوص بيوت مهجوره بسبب الجوع وقله الرزق.
رغم ان سليمان يمتلك من العمر ثلاثون عاما ويعد الاكبر بثلاث سنوات الا ان نظره واحده في وجههم تكفي لتكتشف انهم اخوه فهم لهم نفس البشره السمراء والشعر المجعد والعينان الصغيره السوداء والانف الصغير وزراع مثل الثور وسيقان مثل الجبال .

لم يمر سوي لحظات حتي تسلل كل منهم داخل المنزل وظل عبد الله يراقب الطريق لينبههم اذا حدث شئ فهو صديق لهم منذ الصغر ولم يفارقهم ابدا ومرت لحظات الانتظار ثقيله ومرعبه فالهدوء يسيطر علي الحاره كلها وظلام الليل واختفاء القمر وبروده الجو وشبح الموت الذي يخيم علي الحاره اضاف شئ من الرعب في قلب عبد الله مما جعله يتلفت يمينا ويسارا في حاله قلق وترقب وبينما هو علي هذا الحال بداء يشعر بتحركات غريبه من حوله وكأن هناك خيلات او اشباح تتحرك تحت عبائه الظلام فتسارعت دقات قلبه حتي اصبحت اعلي من طبول الحرب وتعالت انفاسه وبدا له من الوهله الاولي انه لمح طيف شبح اسود يتحرك فوق اسطح المباني المجاوره للمبني الذي يسرقونه فرفع نبوته عاليا في الهواء متحفزا لملاقاه من سيهاجمه ورفع رأسه الي الاعلي في محاوله منه لمتابعه الشبح الذي عبر من امامه دون جدوي ، فتحرك عده خطوات وتوقف وسط الطريق وظل ينظر حوله في جميع الاتجاهات لكن ظلام الليل وقف عائق امامه في طريقه للرؤيه واختفاء القمر ساهم بشكل كبير ، صوت خطوات اقدام وانفاس عاليه كانت تقترب منه ورائحه عفنه بدائت تتسرب الي انفه الكبير فبداء يلوح بنبوته في الهواء بعشوائيه كبيره لعله يصيب اي هدف وتجمدت اطرافه وتجمد الدم في عروقه وغرق في بركه من العرق عندما شعر بيد بشريه علي منكبيه وانحبست انفاسه في صدره وتدلي

فكه وبرزت عيناه وقبل ان يصرخ بداء يسمع صوت سليمان يهمس في آذنه يقول له

_انت مش شايف تحت رجلك وواقف نادورجي الله يخرب بيتك

هداء عبد الله واخذ نفسا عميقا وألتفت خلفه ليجد سليمان يحمل شوال كبير ثم قال له

_انت مش ناوي تستحمي ياسليمان رحتك المعفنه خالتني افتكرك واحد من الصيادين ...كنت هقتلك بالنبوت

_ وانت الصيادين يخطفوق ليه ؟هما لو طفحوك يجلهم تسمم

فيقترب داود ومعه شوال اخر ويقول هامسا

_هنفضل هنا كتير يالا بينا قبل ما حد يشوفنا عايزين نرجع الحاره قبل الفجر ما يشقشق

_امرك يامعلم داود

يتحرك الثلاثه في محازاه صور البيت المهجور سعيا في الوصول الي مخرج الحاره يتقدمهم داود وخلفه سليمان وعبد الله ... يتحركان في خفه وكآنهم اشباح ويتوقفون من حين الي اخر يسرقون النظر حولهم حتي يتآكد داود ان لا احد يتتبعهم او يشعر بهم ، توقف داود عند الممر الضيق في اخر الحاره ورفع طرف جلبابه وقال هامسا

_اخر الممر بيت عم عرفه العلاف هنعدي واحد ورا التاني عشان محدش يحس بينا

فتنهد سليمان في نفاد صبر وقال

_عرفه ضرير حتي لو صاحي مش هيشوف حاجه

_ اخرص ياد واعمل اللي بقول لك عليه هتعدي انت الاول وبعدين البغل اللي وراك وانا في الاخر وهنتقابل في الخرابه اللي ورا حنفيه السقا

فيلتفت سليمان محدثا عبد الله قائلا

_سامع الكلام يابغل

لكن الفاجعه أسقطت سليمان علي الارض وسقط الشوال منه وتجمدت عيناه مثل الزجاج عندما رأي رأس عبد الله علي الارض بلا جسد فآلتفت داود له يحثه علي التحرك فتفاجئ بالمشهد وانهمرت الدموع من عيناه كبركان ينفجر وانفطر قلبه حزنا علي فيراق صديق الطفوله لكنه احكم قبضته علي زراع سليمان واستجمع ما تبقي لديه من قوه وشجاعه قائلا. وهو يجذبه من زراعه لينهض

_لازم نتحرك .... الصيادين خطفوه واكيد هما هنا

فنهض سليمان ورفع نبوته في الهواء وصرخ قائلا

_تعالو ياولاد الزواني انا سليمان هاجوفا انا الموت ...

فوضع داود كف يده علي فم سليمان وقال في همس

_انت اتجننت الناس هتصحي اكتم صوتك واتحرك

ازاح سليمان يد اخاه عن فمه وقال باكيا

_مالوش جته تدفن يا داود

_والراس هنسبها هنا عشان مش هنلاقي حاجه نقولها للناس الصبح .. اتحرك

فحمل سليمان الشوال وتحرحك مسرعا خارج الحاره وظل يركض حتي بلغ الخرابه خلف حنفيه السقا في اخر حاره طبق وبعد لحظات كان داود في صحبته وبداء كل منهم بالحفر في الارض

_ماتخفش يا سليمان الدهب اللي معانا هيكفي وهنخرج من البلد

وظل كل منهم علي هذا الحال حتي انتهو من دفن الذهب فخلع داود جلبابه ومسح يده في كلسونه من اثر التراب ونفض الجلباب ثم ارتداه مره اخري وجلس علي الارض مستند بظهره علي حائط سور الخرابه ونظرالي سليمان الذي ارتمي بجسده

علي الارض بجواره ثم لف زراعه حول عنق سليمان وضمه الي صدره وبكي بكاء حارا علي فيراق صديق الطفوله وفي لمح البصر ابتعد سليمان عن صدر اخيه وامسك بالنبوت وهب واقفا علي قدميه وكأنه به مس من الشيطان وقال

_شامم ريحه نتنه ... هما هنا

فانتبه داود بدوره ورفع نبوته بعد ان ظهر لهم خمسه رجال من رحم الظلام وكأنهم ابناء الشيطان

لا يدري احد اين كانو ؟ ومن اي اتجاه جائوا؟ لكنهم جائو للموت مهما بلغت قوتهم ومهما كان جنسهم شياطين او انس ،الموت هو السبيل الوحيد للصيادين كما يطلقون عليهم ابناء الحاره فهم سيواجهون داود هاجوفا وسليمان هاجوفا الذي يخشاهم الجن ذاته فهم بمثابه جيش صغير يتحرك علي الارض ، العالم بما فيه اقزام بالنسبه لقوتهم فضربه واحده من نبوت احدهم علي راس رجل تكفي لتهشيمها مثل الحجر، لم تكن المره الاولي التي يواجهان فيها خطر معآ فهم اعتادو علي المعارك من يوم ان تعاهدا علي تصخير قوتهم التي وهبها الله لهم في خدمه الضعيف ونصره المظلوم وأعلاء كلمه الحق وهدم الشر ورد الحقوق الي اصحابها ولم يتحول احدهم الي لص الا بسبب الجوع القاتل الذي بداء يفتك بالجميع الا هذه الوحوش الضاريه داود وسليمان لتجارتهم الواسعه واموالهم الوفيره التي كانت عون لهم علي مر عامين كاملين منذ بدايه المجاعه حتي افلس كل منهم ، وبداء الشرر يتطاير من عين سليمان وهو ينظر تجاه الخمس رجال الملثمين الذين يرتدون السواد وفي ايديهم سيوف وخطاطيف

_تعالو في حضن الموت ياولاد زواني

ورفع سليمان نبوته في الهواء وظل يأرجحه ووضع ظهره في ظهر اخيه داود حاملا نبوته هو الاخر .

القاهره ١٧ يناير عام ١٦٠٠م

إحتلت خيوط الشمس كل شبر من ارض حاره طبق في صباح اليوم الثاني ولم يجد المشردون من اهل الحاره غير شعاع الشمس ينهلون منه دون ان يسمع احد منهم الكلمه التي اعتاد الجميع سمعها (مافيش) .

في خطوات ثقيله دخل سليمان الحاره متجها صوب الدكان الخالي تماما من اي شئ غير كرسي خشبي وحيد يجلس عليه داود مستند علي نبوته فهب واقفا فور رؤيته لسليمان قائلا

_كنت فين من الصبح

_كنت في المدافن

_انت اتجننت برضو دفنت راس عبدلله

_ماتخفش محدش شافني روحت في الفجر

_طب تعالي اقعد مكاني لحد ماروح اتصرف في الخاتم الدهب اللي معايا خلينا نجيب شوال دقيق

_انا كنت عايز اروح استحمي

_لما ارجع ابقي روح

وينصرف داود مسرعا دون الالتفات نحو اخيه الذي جلس بدوره علي الكرسي ممسك نبوته شارد الذهن في بحر من الالم والحزن علي فراق صديقه ولم يمر غير دقائق معدوده حتي استيقظ اهل الحاره ليكتشفو وجود خمس رجال مقيدون بالحبال من ارجلهم وايديهم بالقرب من حنفية السقا . مما دفعهم للتسائل والحديث في هذا الموضوع طوال النهار.

فبعد ان انارت الشمس بنورها ودبت الحياه في الحاره جلس كل تاجر وصاحب حرفه في دكانه واضع يده علي خده فلا يوجد شئ يباع او يشتري

اقترب رضوان العطار صاحب الخمسون عاما من دكان سليمان قائلا

_صباح الخير يا معلم سليمان ،عرفت اللي حصل؟

_ وهو ايه اللي حصل اكتر من اللي احنا فيه؟

_ الناس بتقول ان في خمس صيادين متكتفين عند حنفيه السقا

_وهو دا كلام حد يصدقه ؟خمس صيادين مره واحده

_ لا ومتكتفين كمان

_وهو مين ده اللي يقدر يضرب خمس شياطين ياعم رضوان

_لا ما هي الناس اكتشفو ان الصيادين بني ادمين زينا مش شياطين

_وهو في بني ادمين بياكلو بشر زيهم

_محادش عارف الجوع ممكن يعمل ايه تاني في الناس

_ربنا يعدي الايام دي علي خير

_ربنا يسمع منك يا معلم سليمان ، اروح انا بقي ع الدكان عشان سايبه لوحده

_اتفضل اتفصل يا عم رضوان

ويخرج رضوان من دكان سليمان ولمح بطرف عينه مريم الغانيه تدخل الدكان عند سليمان فهي سيده مثل الافاعي تتلون وتتشكل وتمتلك مهاره عاليه في فنون الجنس فهي تبيع الجنس لمن يدفع وسليمان كان من اهم زبائنها قبل ان ينقلب عليها مع حلول المجاعه .

فقالت في دلع وهي تأكل سليمان بعينيها

_صباحك لوز مقشر يا سيد المعلمين

فتنهد سليمان واحكم قبضته علي نبوته وخبط به علي الارض بقوه وقال

_يافتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... أصبحنا واصبح الملك لله

_عاش من شافك يا معلم ... محدش شافك من زمان ... وحشتنا

_خير يا ست مريم عايزه حاجه ع الصبح

_عيزاك طيب ... انا قلت أطمن عليك وبصراحه كده كنت عيزاك في خدمه

_خير ان شاء الله

_اصل انا عرفه انك بتفهم في النجاره وبيني وبينك كده فخاد السرير تعبانه قوي يامعلم وكانت عايزه مسمارين

_ماعدش ليا في الدق وروحي بقي لحال سبيلك انا مش ناقص انا فيا اللي مكافيني

_سلمتك الف سلامه يا معلم سليمان خير فيك ايه ؟والله انا كنت حاسه بيك وقلت اكيد غياب المعلم عنك يابت سببه حاجه

يصيح سليمان في وجه مريم غاضبا

_امشي يا ست من هنا بدل مدفنيك مطراحيك

_ عجايب.. خير تعمل شر تلقا دا بدل ما تشكرني اني جايه اسأل عليك

يدفعها سليمان بعيدا عنه بيده فتصيح الاخري

_خلاص همشي من غير قله ادب ... ومسير الحي يتلاقي

وتخرج مريم ويتنهد سليمان ويتذكر ليالي زمان في دار مريم ويبتسم ثم يقول

_ استغفرالله العظيم الله ما يرجعها ايام

بداء يسمع صوت صراخ نساء واطفال تبكي ثم هناك اطفال ونساء تركض نحو اخر الممر في الحاره فآنتبه سليمان لتلك الحركه الغريبه وأمسك بطفل يركض وقال

_في ايه ياض ؟ مين اللي مات في الحاره؟

_محدش مات يا معلم سليمان دا المعلم داود بيتعارك مع العسكر

ورفع سليمان نبوته وركض بسرعه الريح لمعاونه اخيه داود دون ان يفهم اي شئ عن سبب العركه .

كان المشهد عظيم وداود يقف وحوله خمسه فرسان من العسكر يركبون علي ظهر الخيل رافعين سيوفهم وهو يضرب بنبوته في الهواء حتي تبتعد الفرسان عنه كأنه اسد وقع فريسه في يد الصياد فهجم سليمان علي احد الفرسان من الخلف اسقطه من فرسه وضربه داود ضربه علي رأسه جعل الدماء تنفجر منها علي اثرها وكلما اقترب احد الفرسان من داود يضربه ضربه علي يده يسقط السيف منه ثم يجزبه من علي فرسه ويسقط ارضا ويضربه سليمان ويكسر له ضلعا حتي هرب باقي الفرسان من امام سليمان وداود خوفا علي ارواحهم والناس كانت تلتف حولهم تشاهد ما يحدث فصاح داود فيهم بعد انتهاء العركه قائلا

_ايه؟ في ايه ؟ كل واحد يروح يشوف مصالحه

فينصرف الناس عنهم خوفا من المعلم داود فيتجه نحو بيت عم عرفه وخلفه سليمان وناد علي عرفه بصوت عالي فخرج عرفه من الدار حاملا شوال الدقيق قائلا

_الامانه بتاعتك يامعلم

فيأخذها منه داود وينظر له مليا ثم ينظر الي الشوال ويقول له بعد ان يفتح الشوال

_هات قصعه

فترتسم الفرحه علي وجه عرفه فيصيح قائلا

_ وقصعه ليه ما الجلبيه موجوده وتشيل رطل وزياده

ويرفع جلبابه ويبداء داود في تعبئه جلباب عرفه بالدقيق ويبتسم له وينصرف ومعه سليمان الذي حمل شوال الدقيق علي ظهره بدل من اخيه الصغير داود بعد ان اعطاه نبوته يحمله بدل منه فقال له وهم في طريقهم الي المنزل

_كانو عيزين منك ايه ولاد المركوب دول

_ مين ؟تقصد العسكر

_مالك يا داود ؟ هو احنا كنا بنتعارك مع حد غيرهم ؟

_لا ابدا ... اصلهم شافو شوال الدقيق اللي كان معايا فحبو يعملو نفسهم رجاله وقال ايه عايزين يخدو الشوال .

_ كنت سبت الشوال يا داود ...

_انت اتجننت ياسليمان عايز ولااد المعلم هاجوفايتاخد منهم شوال دقيق ..

_الحكومه مش هتسكت والحاره هتتقلب عسكر

فيقول داود منفعلا

_خلاص نحط طرحه علي رؤوسنا ونقعد في البيت زي الحريم عشان المعلم سليمان خايف من العسكر اللي هما اصلا خرفان

_مش القصد يا داود ... بس احنا قتلنا امبارح خمس صيادين وجماعه الصيادين اكيد هيقلبو الدنيا علينا والصيادين لوحدهم كفايه مش ناقصه نحارب عسكر كمان

فطلب داود من اخيه وضع الشوال علي الارض بعد توقف امام باب منزلهم المكون من طابق واحد ويضم اسرتهم الصغيره التي تتكون من داود وزوجته فاطمه وابنائه شمس ورزق وسليمان وامه .

انصرف سليمان عائدا الي الدكان مره اخري وفور وصوله الي الدكان وجد ورد ابنه خالته وابنه بدر الدين تاجر القماش الذي يعد من أعيان الحاره، ورد تلك الفتاه صاحبه العشرين عام ببشرتها البيضاء وشعرها الاحمر تقف علي باب دكانه فدق قلبه وشعر وكأنه طفل صغير وانتابه هذا الشعور الغريب مابين اليقظه والنوم والبرد والحر والجوع و الشبع والخوف والشجاعه والموت والميلاد وبداء يتلعثم ويتصبب عرقا واصبحت اقدامه اثقل من الجبال فستند علي نبوته وقال هامسا وهو ينظر الي الارض عند

باب دكانه

_صباح الخير

فانتبهت ورد قائله والهفه علي وجهها وفي عينيها

_يسعد صباحك يا سي سليمان

_يسعد صباحيك ... خير يا ورد في حاجه ؟

_ خير ان شاء الله اصل سمعت بالعركه وقلت في عقل بالي لازم يابت تتطمني علي ابن خالتيك

_فيكي الخير يا ورد ... دي عاركه بسيطه وراحت لحالها

_بركه انك بخير .

وابتسمت وأخفت وجهها بطرف العبائه الحرير وابحرت في عين سليمان والشوق يمزقها وتتخيل انها في داره تعد له الطعام قبل ان يحضر وتخلع له ملابسه وتغسل له قدميه بعد ان يصل الي الدار فتتنهد وتقاوم الغرق في بحر الشوق والاحلام في عين داود وقالت

_طب همشي انا بقي

_ ليه ... لسه بدري ياورد

_ عشان امي متستعوئنيش اصل لسه هعدي علي ابويا في الدكان

وتنصرف ورد في خطوات تحمل الكثير من الدلع ويشعر سليمان ان قلبه يفارق صدره فهو كم تمني ان يتزوج وينجب ابناء من ورد لكن ما حل علي البلاد من مجاعه جعله يؤخر الزواج الي ان يتعدل الحال مره اخري فكيف يطعمها والزرع شحيح وماء النيل جف والارض تصحرت .

عندما خيم الليل علي حاره طبق أحتل الصمت كل ارجاء الحاره و تحولت الي حاره اموات وأختفت الاصوات وأختفت الناس

جميعا ، حتي الرياح توقفت وأختفت ولم يعد هناك شئ غير الصمت الموحش المخيف ، الجميع يحتمي داخل داره خوفا من هجمات الصيادين المتوحشه وفي منزل سليمان اجتمعت الاسره كلها حول طبليه الطعام علي ضوء الشموع يتناولون الفطير الذي صنعته ام داود لهم ،لم تكن دار فاخره كما اعتادت العائله فالحال تغير بعد المجاعه وباعو كل شئ مما دفعهم للسكن في دار صغير ولكن الام سعيده علي كل حال لانهم جميعا بخير .

بداء الجميع في تناول الطعام عدا الام التي جلست القرفصاء في زاويه بعيده شارده الذهن فانتبه لها داود فأخذ فطيره واتجه نحوها قائلا وهو يمد يده لها بالطعام

_ايه يا ام داود مش هتاكلي ولا ايه؟

_ اخوك سليمان لسه مارجعش انا خايفه ليكون حصل له حاجه

_ سليمان مش صغير يا ام سليمان دا اخو فتوه حاره طبق

_ الصيادين مايعرفوش فتوه من غيره

_ماتخفيش يا أمي لو تأخر اكتر من كده هطلع اشوفه

_طب ماتروح دلوقت يابني وطمن قلبي عليه ربنا يطمن قلبك

_حاضر ياأمي بس تاكلي الاول

_انا مش هاكل ولا هحط لقمه في حنكي الا لما اطمن علي سليمان

يتنهد داود ويقبل يدها ويضع الطعام جانبا ويتجه نحو الباب ويعدل عمامته بيديه ثم ينظر نحو زوجته فاطمه التي تحركت بدورها نحو داود قائله وهي تناوله نبوته

_النبوت ياسيد المعلمين

_ماتخفيش عليا يا فطمه جوزيك سبع

_ربنا يحميك ويعينك علينا

فينظر في عيناها للحظات ثم يفتح الباب وينصرف فتستند

فاطمه علي الباب بعد ان أغلقه داود خلفه فيتجه شمس ورزق ابنائه اصحاب الخمسه اعوام نحو فاطمه ويقول شمس

_أمي هو ابويا راح فين ؟

_راح يشوف عمك آتآخر ليه

_طب هو مش خايف من الصيادين

فتنظر فاطمه نحو ام داود قائله

_ عجبيك كده ...كان واحد بس اللي غايب دلوقت اتنين غايبين

ثم تلمح رزق يحمل عصا صغيره ويتجه نحو باب الدار فتصيبح فيه قائله

_ رايح فين يارزق

فيقول رزق وبراءه الاطفال في عينيه

_ماتخفيش يا أمي انا معايا نبوتي وهمشي ورا ابويا عشان احميه ماتخفيش .

_ياقلبي ... هي العصايا الصغيره دي نبوتك ... هههه .... طب تعالي كمل اكلك الاول عشان زراعك يكون قوي وتعرف تتعارك وتحمله هو وشمس وتعود وتجلس علي الطابليه مره اخري وتبداء في اطعام الصغار .

وسط الظلام والضباب والصمت المخيف وبروده الشتاء القارسه كان يسير داود متجها نحو المقابر للبحث عن سليمان فمجرد اختفاء سليمان جعله يتوقع انه عند قبر عبد الله ، توقف داود عن التحرك واختبئ خلف شجره عندما وجد شبح انسان يتحرك وسط الظلام لكنه اكتشف سريعا انه سليمان فآستوقفه قائلا

_كنت فين كل ده يا سليمان

_داود ايه اللي جابك

_ امك قلبها وجعها عليك ... خرجت عشان اشوفك فين

وقبل ان ينطق سليمان بكلمه واحده لاحظ وجود حركه وسط الظلام فآمسك بيد داود واختبئ معه خلف شجره وهمس داود قائل

_في ايه ياد؟

_في حركه غريبه ... تقريبا في حد جاي

_فكرك يكونو صيادين

_او عسكر ما احنا قتلنا منهم ناس

ثم يمر من بعيد رجل يرتدي جلباب احمر ويخفي وجهه بشال لونه احمر متجه نحو المقابر فينظر داود وسليمان نحوه في تعجب وبدون اي تفكير يتجهون خلف الرجل حتي المقابر وتوقف داود وسليمان بعيدا مختبئين خلف احد شواهد القبور يراقبون ما يحدث ، لم يمر من الوقت الكثير حتي اجتمع مع الرجل مجموعه اخري ترتدي نفس الملابس فنظر داود نحو سليمان وهمس قائلا

_ مين الناس دي ... تعرف عنهم حاجه

_اول مره اشوفهم

_ومخبيين وشوشهم كده ليه

_تعال نقرب منهم شويه يمكن نسمع حاجه

فيقترب داود عده خطوات ويتبعه سليمان ثم يلاحظ كل منهم انهم يدخلون الي احد احواش المقابر فيتحرك داود وسليمان نحو سور الحوش وينظرو خلسه من باب الحوش دون ان يشعر بهم احد ويلاحظ كل منهم انهم اشعلو نارا في شبه دائره وجلس الجميبع علي الارض متخذين نفس الجلسه ويتقدمهم رجل

يخفي وجهه وبداء يهمس احدهم ويردد الجميع خلفه وجاء الصوت ضعيف ولم يستطع داود او سليمان تفسير ما يسمعونه لكنهم اكتفو بهذا القدر من المشاهده وظن كل منهم في بدايه الامر انها جماعه الصيادين فقال سليمان وهم في طريق العوده

_اكيد الناس دي هما جماعه الصيادين

_صيادين مين يا سليمان! دول شكلهم عسكر متخفي وهينقلبو علي الخليفه

_ العسكر انقلب خلاص علي الخليفه وسيطر علي قصور النيل وماعدش حد يقدر يقرب منهم

_ امال مين الناس دي. ؟بتعمل ايه في المدافن ؟

_الموضوع شكله كبير

_ بكره هنعرف

_احنا لازم نروح بكره من بدري ونستخبي قريب منهم ونعرف هما مين وعايزين ايه ... هي الحاره دي مالهاش فتوه ولا ايه؟

_ولما هنعرف هنعمل ايه

_اللي يقدرنا عليه ربنا ماهو احنا مش هنسيب الحاره والناس كده لازم نساعد اهل الحاره امال احنا فتوات علي ايه

_فتوات من غير رجاله . .... رجالتك كلهم سافرو علي بغداد هربو من الجوع ماعدش فاضل حد غرنا ولازم احنا كمان نسافر

القاهره ١٨يناير من نفس العام

استيقظ اهل حاره طبق علي صراخ وعويل فتوح ، هذا الشاب الاسمر النحيل صاحب العيون العسليه والشعر الاسود الذي يعمل مع مريم الغانيه ،كانت الدماء تسيل من فمه بشكل هستيري مما دفع اهل الحاره لمحاوله تهدئه الشاب لكنه سريعا ما سقط علي الارض ولفظ انفاسه الاخير وتعالت الصيحات والصراخ والنواح من نساء الحاره علي موت الشاب وتجمع الناس حول الجثمان وحملوه الي دار مريم الغانيه فهم لا يعرفون دار له الا دار مريم واحتشدت الناس امام الدار حتي حضر المعلم داود ومعه شيخ الحاره وافسح الجميع للمعلم حتي يمر من بينهم في سلاسه و رغم ان حادث الموت في الحاره اصبح شئ شبه طبيعي بسبب الجوع واعتاد الناس علي سماع صراخ هنا وهناك كل ثلاث او اربعة ايام الا ان شيخ الحاره لم يكتب تصريح الدفن و قال

_ الواد ده لسانه انقطع ... حد فيكو يعرف ايه اللي حصل

فتعالت الاصوات من حوله وتحدث الجميع في نفس واحد مما دفع المعلم داود للصراخ في وجههم قائلا

_واحد بس اللي يتكالم يا بغل منك له

فقال احد الحضور وهو يرتعش خوفا من داود

_ احنا شفنا الواد بيجري في الحاره وبيشاور ويقول ان في حد قتل مريم بالليل وقطع لسانه

فنظر داود في عينه وقال

_ وانت بتفهم لغه الاشاره

_ايوه يا سيد الناس

_وفين جثه مريم اللي اتقتلت

فبهت صاحب الشهاده وقال داود بصوت عالي مثل الرعد

_اكيد حد فيكم اكل جثه مريم يا حاره جعانه يا حاره وسخه ...

اخفي يا بغل منك له من واشي

فينصرف الناس من امامه بسرعه الريح عدا شيخ الحاره الذي قال وملامح الارتباك علي وجهه

ـ تحب نبلغ الشرطه يا سيد الناس

فقال داود بعد ان وضع يده علي كتف شيخ الحاره ونظر له في عينه

ـالعسكر وجنود الخليفه عندها مشاكل اكبر من الواد ده ومن مريم المومس .... ومش هيتحرك عسكري واحد من العسكر حتي لو اللي مات شيخ حاره مش صبي مومس .... فاهمني يا شيخ الحاره .

اصفر وجه شيخ الحاره وجف حلقه وشعر بتهديد داود له في حاله عدم كتابه تصريح الدفن او ابلاغ الشرطه عن مقتل الشاب او مريم فقال وهو يتصبب عرق

ـحالا يا سيد الناس وتصريح الدفن يكون جاهز والواد يندفن قبل الظهر

نظره داود في عين شيخ الحاره ثم اتجه نحو دكانه وجلس علي الكرسي الخشب بجوار اخيه سليمان ولم يمر سوي دقائق وكان شيخ الحاره انتهي من تغسيل الشاب وبداء في التحرك مع بعض المشيعين من اهل الحاره فنظر سليمان الي النعش الذي مر من امامه وقال محدثا داود

ـ مين اللي مات؟

ـ الواد فتوح صبي مريم

ـوده مين اللي يقتل عيل زي ده ؟

ـ وانا اعرف منين اهي حاره ملعونه بنت كلب

ـطب اهدا كده واسمعني ... انا كان ليا مزاج نجيب شويه بضاعه من المعلم بدر الدين جوز خالتك نتاجر فيهم

ـ وهو جوز خالتك عنده بضاعه

ـمن كل صنف ولون والزريبه مشاء الله كلها بهايم وبغال وحمير وخيول

ـايه كل ده .... دي الناس من كتر الجوع والفقر بيكلو بعض ... جاب منين كل ده

ـعلمي علمك يا معلم ... بس الاغرب ان مافيش حد يقدر يسرقه ولا يقرب من الزريبه

صراخ طفل قطع كلمات داود وانتبه الي صبي في العاشره من عمره يركض مسرعا نحوهم فنظر داود الي الصبي وانتظر لحظه حتي التقط انفاسه وقال له

ـ مالك ياض بتصرخ ليه ؟

ـ اهرب يا معلم ... الخليفه أمر بقطع رقبتك انت والمعلم سليمان عشان قتلت امبارح اتنين من العسكر

بهت لون سليمان وجلس علي الكرسي وكأن جزع نخله يسقط وطار حلم الزواج من ورد والنسب من بدر الدين عين اعيان الحاره وتبادل النظر مع داود ثم نظر للصبي والشرر يتطاير من عينه واخذ نفسا عميقا ثم قال للصبي

ـانت عرفت الكلام ده منين ؟

ـفي منادي بيلف حواري مصر كلها وهو اللي بيقول ... والعسكر كلها شويه وهيدخلو الحاره عشان يمسكوك يا معلم

ـانت شفت العسكر جاي علي هنا ؟

ـايوه يامعلم .... انا سايبهم في الدرب الاحمر

هب واقفا وامسك نبوته ونظر في عين داود وقال

ـماعدش لنا مكان فيها .... لازم نهرب

وقبل ان يتفوه داود بكلمه وضع سليمان يده علي فم اخيه وهز رأسه بالنفي لانه يعلم كم هي رغبه داود في البقاء ، لكن هذه

المره سيواجه جنود الخليفه واعداد كبيره لا طاقه لهم بها ، كل جندي من جنود الخليفه اصبح يبحث عن سليمان وداود .

هرب كل منهم في اتجاه الجبل تاركين خلفهم كل شئ بعد ان تآكد داود من صحه كلام الصبي وسمع بنفسه المنادي يجوب حواري المحروسه يذيع الخبر ... قلب داود يتمزق خوفا علي زوجته وابنائه وامه ،اما سليمان تبعثر حلم الثراء والزواج من ورد وجلس كل منهم داخل كهف عند الجبل بعيدا عن عسكر الخليفه ولم يجد احدهم حل غير الهروب من مصر كلها والذهاب الي بغداد فلم يعد هناك اي دافع للبقاء بعد حلول المجاعه و غياب الرزق وأمر الخليفه بقتلهم .

عند حلول الظلام اتجه داود الي الخرابه حتي يستخرج الذهب المدفون هناك ويأخذ امه وزوجته وابنائه استعداد للرحيل واتفق مع سليمان ان يتقابل معه عند الفجر في الجبل للرحيل وحمل سليمان علي عاتقه مسؤليه تجهيز المؤن والركوب فآتجه الي بيت بدر الدين في عتمه الليل ووقف امام البيت للحظات ثم طرق علي الباب برفق ففتحت له ورد وعيناها تملئها الدموع وقالت

ـ الحمد لله انك بخير ....

ـانتي بتبكي يا ورد

ـ وانا عندي اعز منك يا معلم سليمان ... العسكر بيدور عليك

ـعشان كده انا جيت ... انا عايزيك تسعديني ياورد

ـ انا خدامتك يا سيد الناس

ـ انا عايز خيل وعربيه كارو وكام بغل

ـ حاضر يا معلم ... استني اصحي ابويا

ـ ابوكي لا .. مش هيوافق ... ناخد اللي عيزينه الاول

ـطب تعالي معايا علي الاسطبل .

يتجه سليمان معها ويأخذ عربه وثلاث خيول وثلاث بغال حتي يتمكن من وضع الامتعه الخاصه بهم للرحيل من القاهره ويأخذ ماء وطعام ويخرج من الاسطبل مسرعا بعد ان ودع ورد وتعاهد معها علي العوده الي القاهره في اقرب وقت للزواج منها .

لم تكن مشكله الخروج من القاهره كبيره لكن بعد اجتماع الاسره كلها عند الجبل وبعد ان ركب الجميع العربه التي تجرها الخيول واستعدو جميعا للرحيل همس سليمان لداود قائلا

_ هو الدهب فين يا داود ؟،

_الدهب اتسرق يا سليمان

ينفعل سليمان ويصرخ وينتابه حاله من الجنون ويقول

_يعني ايه اتسرق ؟، اتسرق ازاي ؟،

_ رحت الخرابه وحفرت في نفس المكان . ومافيش حاجه

_ يعني احنا اضحك علينا

_ اه انضحك علينا .... وهنخرج من مصر بالهدوم اللي علينا .. بس يارب نخرج منها علي خير

فضحك سليمان بقوه حتي انقلب علي ظهره ثم هداء وقال وهو ينظر في عين داود

_ هو في فتوات حارات في بغداد ...

_لما نوصل هنعرف

وركب العربه كل من داود وسليمان ومعهم فاطمه وام داود والاطفال متجهين صوب بغداد وظل سليمان يحلم بالفتونه في بغداد حتي تنعم حياته وبعد رحله شاقه وطويله وصلت العائله سوق مدينه بغداد وسيطر داود وسليمان علي احد الحواري واصبح سليمان الفتوه الجديد .

القاهرة ١٦ يناير من عام ١٦٠٠م

حاره طبق

في السادس عشر من يناير عام١٦٠٠ تحرك عبد الله برفقه كل من داود وسليمان لسرقه احد المنازل ليلا لكن هناك اشخاص اخرين كانو يتحركون في نفس اليوم ولم تنتهي قصتنا عند سفر داود وسليمان فهي حاره ملعونه ولا يوجد لعنه اشد من لعنه الفقر والجوع لذلك يجب عليك ان تصدق عندما اقول لك ان هناك من كان يتحرك في الظلام .

في صباح هذا اليوم كان يجلس بدر الدين بلحيته البيضاء وعبائته الحرير عند باب الدكان الخاص به فهو تاجر اقمشه ويشتهر بين الناس بالطيبه والكرم ولم يبخل علي اي احد من اهل الحاره بشئ والاكثر من ذالك ان ابتسامته لم تفارق وجهه اطلاقا حتي عندما حضر اليه عبد الله في هذا اليوم حاملا نبوته في يده والشرر يتطاير من عينه ودخل الدكان وكسر الارفف الخشبيه وسقطت الاقمشه علي الارض كان بدر الدين مبتسم ابتسامه من نوع غريب تخفي خلفها الاف الحكايات وتحدث معه بكل ثقه وهدوء بدون ان يظهر عليه الغضب وقال

ـ خير يا معلم عبد الله ... انت شكلك زعلان قوي

ـ اسمع انا قلت لك امبارح يتدفع اللي انا عايزه ينتكالم عن اللي بيحصل منك من وراء ظهر المعلم داود

ـ المعلم داود رفع الائتاوه عن الناس كلها

ـ الاتاوه دي حقي عشان سرك يفضل في بير ولساني ميتحركش ويقول علي كل اللي يعرفه .. داود لو عرفك علي حقيقتك مش هيسيبك .

ـ ماتخفش يا معلم لسانك مش هيتحرك تاني ... بكره الصبح تعالي وانا هديك طلبك وزياده

ـ اخر معاد بكره يابدر الدين ... الف قطعه ذهب

وينصرف عبدلله من دكان بدر الدين الذي وضع يده علي لحيته البيضاء يداعب شعيراتها والابتسامه علي وجهه وقال محدثا نفسه .

_دبور زن علي خراب عشه

وبعد ان انتهي بدر الدين من اعاده ترتيب الدكان من الفوضي التي تسبب فيها عبد اللّه كان من السهل عليه ان يعرف انها قادمه اليه فرائحه الفل التي تتعطر بها تسبقها دائما فنظر نحو الطريق بعد ان وقف امام باب الدكان وقال بحماس شديد

_ اهلا بالمعلمه مريم ست الكل وست الستات كلها

فآبتسمت مريم وتوقفت امام باب الدكان وقالت

_ انت علي طول كده لسانك بينقط شهد ..

_ انتي الشهد والسكر يا ست الستات اهلا وسهلا يا الف اهلا .. اتفضلي ... دي الدكانه نورت

_ عندك بضاعه حلوه زي كلامك الحلو ده ولا اروح لحد تاني

_ ودي تيجي ... احلي قماش لاحلي جسم في الحاره كلها يكون تحت رجليكي حالا ... اتفضلي ادخلي المخزن جوه وانا هاجي افرجيك علي احلي شغل عندي .

دخلت مريم الدكان ثم اتجهت نحو احد الرفوف الخشبيه ودفعتها بيدها بقوه فنفتح باب سري وظهرت امامها سلالم خشبيه تؤدي الي طابق تحت الارض واغلقت الباب السري خلفها وبعد لحظات ظل فيها بدر الدين ينظر يمينا ويسارا دخل المخزن خلف مريم ممسكا في يده شمعه كبيره سوداء غليظه وفور دخوله هذا القبو المربع الخالي تماما الا من منضده مستديره عليها جمجمه بشريه وبقايها شمع احمر وورق يشبه ورق البردي وكآس دماء و جثه فآر اكلها الدود وكرسيان من الخشب حول المنضده قال بدر الدين بلهجه مغايره تماما

_ انتي ايه اللي اخريك كده .

فقالت مريم بلهجه تملئها الجديه

_كنت مستنيه عبد الله يمشي

_ كان معادي معاكي امبارح ... ماجتيش ليه

_عقبال ماعرفت اتصرف في الحاجه اللي انت عايزها

_ وجبتيها معاكي

_ عيب دا انا مريم ... مافيش حاجه ماعرفش اعملها

وتعطيه لفافه قماش تقطر دماء كانت تخفيها بين ملابسها فيأخذها بدر الدين ويضع الفافه علي المنضده ويفتحا ويستخرج منها لسان بشري ينظر له مليا ثم يبتسم ويقول تسلمي يا مريم فتنظر له في تعجب وتقول

_ عشان مين السان ده

_ في واحد عايزه يسكت مايتكالمش خالص

_ تقصد عبد لله

_ عرف حاجات ماكنش لازم يعرفها

_ عرف ايه ؟

_ مش لازم تعرفي انتي كمان يا مريم ...ولا انتي عايزه صوتك يختفي انتي كمان .

_ لا وعلي ايه انا ماليش دعوه انا اصلا ماعرفش عنك اي حاجه المهم انت عملت لي اللي طلبته منك

فيعطيها قطعه قماش عليها نقش بالون الاحمر ويقول وهو ينظر في عينيها

_ تعملي بيها نفس اللي عملتيه المره اللي فاتت

فتاخذها منه وتسمع صوت فتوح صبي مريم ينادي عليها من الخارج فيقول بدر

ـ وايه اللي جاب سي فتوح الزفت ده

ـ انا قلت له لو في زبون يجي علي هنا

فيعطيها لفه من القماش الاخضر ويقول

ـ خلي دي معاكي عشان لو حد سأل انتي اشتريتي ايه من عندي وبكره تيجي علي هنا بحجه القماشه اللي مش عجباكي وهترجعيها ... مع السلامه يا مريم

تنصرف مريم وبعد ان تآكد بدر من خروجها من القبو يتجه نحو المنضده ويمسك السان ويستخرج من جيب الجلباب مجموعه من الابر الصغيره ويبداء بغرز الابر في السان ثم يأخذ من اسفل المنضده بكره خيط ويربط الخيط حول السان ثم يعيدها في قطعه القماش مره اخري ويهمس بكلام غير مفهوم ويشعل مجموعه كبيره من البخور في شبه دائره وقال محدسا نفسه

ـ معادنا بالليل يا عبدلله عشان تسكت بعد مادفن ده علي باب بيتك .

خرج بدر الدين من القبو بعد ان انهي عمله وجلس علي باب الدكان وابتسامته المعهوده التي تبث الطمئنينه في قلبك فور رؤيتها ترتسم علي وجهه ولحيته البيضاء تزين وجهه الذي يشع نور وطيبه وظل ينظر نحو المشردون من اهل الحاره الجالسين علي الارصفه والطرقات بجلباب ممزق وعظام بارزه يكسوها طبقه رقيقه من جلد تملئه التقيحات والشقوق من الجفاف وقله الطعام والماء وانتشار الامراض والاوبئه .

****

انقضي نصف النهار و ورد قابعه بجوار النافذه في ساحه الدار وقلبها يخفق بشده وانفاسها عاليه في انتظار مرور المعلم سليمان من امام الدار في طريقه الي الدكان لعلها تفوذ بنظره لكن تآخره جعل القلق يتسرب الي قلبها فهو دائما ما يمر من امام النافذه وينظر نحوها وتشعر وكآن الدنيا كلها تنظر لها بعين الرضا ، لكن هذه المره جاء صوت فردوس من بعيد يقتلع ورد من

لحظات الانتظار ومن حلم الفوز برؤيه سليمان وتستجيب لنداء فردوس المتكرر قائله في عصبيه شديده

ـ حاضر يا امي ... حاضر هي الدنيا طارت

فيأتي صوت فردوس من بعيد

ـ لا يا عين امك .. عقلك هو اللي طار

وتنهض ورد وتغلق النافذه وتنظر خلفها فتجد فردوس تقف ويدها في خصرها فترتبك ورد وتقول في تلعثم

ـ انا .. كنت جايه

ـ ابوكي زمانه جاي ... والغدا لسه ماخلسش

ـ حاضر يا ماما ... انا مش عارفه في ايه هي القيامه قامت

ـ يابت انا خايفه عليكي ... البص من الشبابيك غلط الناس هتاكل وشنا ...

تنصرف ورد وملامح الاستياء علي وجهها وينقضي النصف الاخر من النهار في اعداد الغداء ...

تحت عبائه الظلام وبعد ان نام كل من في الدار جلست ورد امام النافذه تنظر الي السماء وتناجي رب العباد في تحقيق الحلم والمراد لكنها شعرت بخطوات اقدام وبآن هناك من يتحرك وسط ظلمه الليل وأختبئت بعيدا خلف احد ابواب الغرف تراقب شبح بدر الدين يتحرك وسط الظلام متخفيا في ملابس سوداء حاملا في يده شمعه كبيره وخرج من باب الدار فتحركت ورد نحو النافذه ونظرت نحو الطريق لتجد بدر الدين يتحرك مثل الصوص في عتمه الليل .وهمست ورد تحدث نفسها

ـ ايه حكايتك يا بويا ... رايح فين وناوي علي ايه ؟

اتجه بدر الدين نحو منزل عبدلله ودفن العمل الذي صنعه له امام داره وعندما انتهي شعر ان احد سيخرج من المنزل فآختبئ خلف شجره وعندما خرج عبدلله من الباب وداس علي العمل المدفون شعر بخنقه شديده واتبعه بدر الدين وظل يراقبه وحاول قتله اثناء غياب داود وسليمان داخل المنزل لسرقته في تلك اليله لكنه لم ينجح وعند خروجهم من الحاره كان عبدلله فقط النطق تماما بسبب السحر وهجم عليه بدر وقتله وفصل راسه وعندما بداء في سحب الجثه سقطت الراس منه واختفي بدر بجثه عبدلله واكتشف سليمان رأس عبدلله.

ولم تمر تلك اليله هكذا فقط بل اكتشف عم عرفه الضرير وجود الذهب في الخرابه وهو في طريقه لصلاه الفجر بسبب صوت سليمان العالي وانتظر حتي انتهت العركه بين سليمان والصيادين وذهب نحو الخرابه واستولي علي الذهب كله وعاد الي منزله

اما سليمان فلم يغمض له جفن بعد ان اعترف له احد الصيادين ان مريم الغانيه هي من تترأس زعامه عصابه الصيدين وتقوم بالتخطيط لهم لخطف الناس وذبحهم وبيع لحومهم للجنود فقرر قتل مريم

وعند مساء اليوم الثاني اتجه سليمان اليها وذبحها وعندما شاهده صبي مريم قرر سليمان ان يقطع لسانه حتي لا يعترف عليه لكنه اعترف لسليمان ان مريم تجتمع بهم في المقابر وتمارس السحر معهم حتي يعونهم الجن قبل قتل الضحيه وهذا يفسر رائحه النتنه التي يشمها الناس قبل هجوم الصيادين

وفي مساء اليوم الثالث سافر سليمان وداود هاجوفا واسرتهم الي بغداد .... ولم يعود احد منه الي مصر مره اخري .

تمت بحمد الله

بقلم اسلام العقاد